بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد

فلقد أمر الله عباده بالاستعداد لليوم الآخر بالعمل الصالح فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة:٢٨١]، وحثهم على المسارعة في اغتنام أعمارهم قبل انقطاع الأجل، فقال سبحانه: ﴿ ۞ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣].

ومن فضل الله على هذه الأمة أن هيأ لها مواسم تكثر فيها الأجور، وتتنوع فيها العبادات، فيغتنمها الموفق السائر إلى ربه بالعمل الصالح، وقد ورد في الأثر: «افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ»، ومن تلكم النفحات التي منَّ الله بها على عباده موسم عظيم من مواسم الطاعة، يتقرب فيه العبد لربه، راجيا ثوابه ورضاه، إنه موسم شهر الله المحرم.

هذا الشهر الذي شرفه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأن أضافه لاسمه إضافة تشريف وفضل، فقال ﷺ: «وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ» [رواه مسلم].

ومن فضائل هذا الشهر المبارك أنه من الأشهر الحُرم التي ذكرها الله في القرآن فقال: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التوبة: ٣٦]، وقد بينها النبي ﷺ بقوله: « السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ » متفق عليه.

فهو شهر حرام عظم الله من شأنه، فحث على التقرب إليه فيه بالطاعات، ونهى عباده عن ظلم أنفسهم فيه المعاصي والذنوب فقال: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾

ولما كان هذا الشهر مختصا بإضافته إلى الله تعالى، ناسب أن يخصه بعمل وعبادة قد أضافها إليه كذلك، وهي عبادة الصيام، كما في قوله ﷺ: « كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي » [رواه البخاري ومسلم واللفظ له].

فمن أخص العبادات في هذا الشهر الصيام، ولذلك قال ﷺ: « وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ » [رواه مسلم]، وقد حمل بعض أهل العلم الأفضلية على صيام التطوع المطلق.

ومن أخص أيام شهر الله المحرم صياما التاسع

والعاشر منه، الذي يطلق عليه تاسوعاء وعاشوراء، فقد ورد النص في فضيلة صيام هذه الأيام، قال ﷺ: « صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ » [رواه مسلم]. فيكون صوم هذا اليوم سبباً لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات.

ولفضيلة هذا اليوم صامته العرب في الجاهلية قبل الإسلام، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: « كَانَ عَاشُورَاءُ يَوْمًا تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصُومُهُ » [رواه البخاري].

ولما قدم النبي ﷺ المدينة رأى اليهود يصومون يوم العاشر، فقال لهم: « مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ، فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً فنحن نصومه. فقال رسول الله ﷺ: « فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ » فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه. [رواه البخاري ومسلم].

ولذلك قال بعض أهل العلم أن صوم يوم عاشوراء كان مفروضا على الأمة قبل فرضية صيام رمضان، فلما فرض رمضان نسخ حكم الصيام في عاشوراء إلى الاستحباب، فمن شاء صامه ومن شاء أفطر، وقد دلّ على ذلك ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِصِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ كَانَ مَنْ شَاءَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ » .

بل كان ﷺ يحثهم على صومهم ويرغبهم فيه،

فصامه الصحابة وصوموا صبيانهم، فعن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت أرسل رسول الله ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة « مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ » فكنا بعد ذلك نصومه ونصوم صبياننا الصغار منهم إن شاء الله، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناها إياه عند الإفطار. [رواه مسلم].

ولفضيلة هذا اليوم كان النبي ﷺ يتحرى صيامه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « مَا عَلِمْتُ النَّبِيَّ ﷺ صَامَ يَوْمًا يَتَحَرَّى فَضْلَهُ عَلَى الأَيَّامِ إِلاَّ هَذَا الْيَوْمَ يَعْنِى شَهْرَ رَمَضَانَ وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ ». [رواه النسائي].

والسنة أن يصوم قبله يوم التاسع لمخالفة أهل الكتاب في صومهم، فعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: « حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ ». قَالَ فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فعلينا أن نغتنم هذه الأيام المباركة، بأن نكثر

من الصيام في هذا الشهر الفضيل، وأن نتحرى صيام التاسع والعاشر كما كان يفعل النبي ﷺ خصوصا هذه الأيام المعتدلة، التي بدأ النهار فيها بالقصر والليل بالطول، فهذه غنيمة باردة، على المشمر أن يغتنمها بالعمل الصالح.

وفقنا الله جميعا لطاعته.

شهر الله المحرم

الشيخ
سعيد بن سالم الدرمكي

@Baynoonanet www.baynoona.net